جورجيـــاس

او البيان

لأفلاطون

للأستاذ محمد حسن ظاظا

— ٣ —

(تنزل « جورجياس » من آثار « أفلاطون » منزلة الشرف ، لأنها أجل محاوراته وأكملها وأجدرها جميعاً بأن تكون « إنجيلا » للفلسفة !)

« رينوفيير »

«إنما تحيا الأخلاق الفاضلة دائما وتنتصر لأنها أقوى وأقدر من جميع الهادمين ! »

« جورجياس : أفلاطون »

الأشخاص

١ — سقراط : بطل المحاورة : « ط »

٢ — شيروفون : صديق سقراط : « ش »

٣ — جورجياس : السفسطائي : « ج »

٤ — بولوس : تلميذ جورجياس : « ب »

٥ — كاليكس : أثيني : « ك »[1]

ط — حسن ! وما دمت تُعجب بمهارتك في فن البيان ، وبقدرتك على تعليمه للغير ، فأخبرني ما هو موضوع ذلك الفن . إن لفن النسج مثلاً موضوعاً هو صنع الأقمشة . أليس كذلك ؟

ج — بلى

ط — وموضوع الموسيقى هو تأليف الألحان ؟

ج — نعم

ط — بالجينون[2] ! إني لمعجب جداً بإجاباتك ياجورجياس !

(١) بدأت المحاورة في العدد الماضي . وقد انتهت هناك بدخول جورجياس في المناقشة بجيباً على أسئلة سقراط الذي أراد أن يعرف من السفسطائي موضوع الفن الذي يمتهنه ويدعي أنه أفضل الفنون وأجلها . وسنرى اليوم كيف يحاوره سقراط ويكشف عن جهله بحقيقة مهنته !

(٢) أحد آلهة اليونان (المعرب)

إذ لا يستطيع أحد أن يجيب بأقصر من ذلك !

ج — وأنا أغبط نفسي لنجاحي التام في هذه الناحية !

ط — الحق أنك غير مخدوع في ذلك قط ! فأرجو أن تجيبني بالمثل عن علم البيان وأن تخبرني عن موضوعه !

ج — موضوعه الخطب والأحاديث

ط — أية خطب يا جورجياس ؟ أتلك التي تشرح للمرضى قانون الغذاء الذي يجب أن يتبعوه كيما يتم لهم الشفاء ؟

ج — كلا

ط — إذا لا يشمل موضوع البيان كل أنواع الخطب ؟

ج — من غير شك

ط — ولكنه يعلم الناس — مع ذلك — الكلام ؟

ج — نعم

ط — وهو يعلم أيضاً التفكير في سبب تعليمه الكلام ؟

ج — نعم دون ما تناقض

ط — ولكن ألا يبحث فن الطب — الذي اتخذناه مثلاً — ويتكلم في الأمراض ؟

ج — بالضرورة

ط — وإذاً أيكون الكلام من موضوعات الطب كما يبدو ؟

ج — نعم

ط — أو بالأحرى الكلام الذي يتعلق بالأمراض على الأقل ؟ !

ج — تماماً !

ط — وبالمثل، ألا يكون موضوع « الرياضة البدنية » هو الكلام في حسن استعداد الجسد أو سوئه ؟

ج — هذا صحيح

ط — وهل الأمر بالمثل في الفنون الأخرى يا جورجياس ؟ هل موضوع كل منها هو الكلام المتعلق بما تعالجه من شئون ؟

ج — يلوح ذلك

ط — ولم لا تطلق إذاً اسم « البيان » على تلك الفنون الأخرى التي موضوعها « الكلام » ما دمت تطلق هذا الاسم « إطلاقاً »[1] على فن موضوعه الكلام ؟

(١) قد زدنا هذا اللفظ من عندنا لتنبيه القارئ إلى قصد سقراط (المعرب)

ج — يرجع السبب في ذلك يا سقراط إلى أن الفنون الأخرى تكاد تتعلق فقط بأعمال اليد أو بما يشبه هذه الأعمال من إنتاج . أما البيان فلا ينتج أى عمل يدوى . ولا يقوم كل أثره ونفوذه إلاّ فى الكلام فحسب . وهذا ما يجعلنى أصرح بأن موضوع البيان هو الكلام ، وما يجعلنى أدعى أن قولى هذا صحيح !

ط — أعتقد أنى فهمت ما تريد أن تعنيه بذلك الفن . ولكنى أريد أن يزداد الأمر وضوحاً فأجبنى : أليست عندنا فنون كثيرة ؟

ج — بلى !

ط — ومن هذه الفنون — كما أظن — ما يقوم فى أساسه على العمل دون أن يحتاج لغير أقل قدر من الكلام ، أو دون أن يحتاج إلى كلام قط ؛ فيتم عمله فى صمت تام كالحفر والتصوير وفنون كثيرة أخرى مما قد قلت عنها — فيما يتراءى لى — أنها لا تتصل بالبيان قط ؟ أصحيح هذا ؟

ج — إنك لتمسك بفكرتى تماماً يا سقراط

ط — هذا بينا توجد على النقيض فنون أخرى تعتمد تقريباً على الكلام ولا تحتاج إطلاقاً إلى أي عمل action كالحساب والإحصاء والهندسة ولعب الشطرنج وفنون أخرى كثيرة ، إذ بين هذه ما يتطلب من الكلام أكثر مما يتطلب من العمل ، بل إن أغلبها يتطلب بالفعل « كلاماً » أكثر . ولذلك تقوم كل قوتها وأثرها فى الكلام فحسب . فترى هل البيان من ذلك النوع الذي ذكرتُ كما يبدو ؟

ج — إنك تقول حقاً

ط — ومع ذلك فقصدك — كما أظن — ليس إطلاق اسم البيان على أحد هذه الفنون، لأنه ما إن نقول عامدين إن البيان فن تقوم كل قوته فى الكلام حتى يتعلق بعضهم بالألفاظ ويخرج منها قائلا : « إنك إذاً تطلق البيان على الحساب يا جورجياس ! » . ولا أحسب أنك تسمى الحساب أو الهندسة بهذا الاسم[1]

ج — إنك مصيب يا سقراط وقد فهمت قولى كما يجب أن يفهم !

ط — إذاً أتم إجابتك على سؤالى . ما دام البيان أحد هذه الفنون التى تعتمد على الكلام اعتماداً أساسياً ، وما دامت هناك فنون مثله فى ذلك الاعتماد ، فأخبرنى من أية ناحية يعتمد البيان على الكلام[1] ؟ إذ لو سألنى مثلا أحدهم عن موضوع فن من الفنون التى أسميها بأسمائها وقال ما هو الحساب يا سقراط ؟ فإنى أجيبه — كما أجيب الآن — بأنه أحد الفنون التى تعتمد تماماً على الكلام . فاذا سألنى ثانياً : من أية ناحية ذلك الاعتماد ؟ أجبته : من ناحية الزوج والفرد كما تدرك عدد الوحدات فى هذا وفى ذاك . . . وهو إذا سألنى بالمثل عن الاحصاء قلت له أيضاً إنه أحد الفنون التى كل قوتها فى الكلام . فاذا طلب : من أية ناحية ذلك ؟ قلت : — كما يفعل جامعو الأصوات فى الجمعية — إن الاحصاء يقوم للفنون الأخرى مقام الحساب لأن موضوعهما واحد : أى معرفة الزوج والفرد . وهناك فقط هذا الفارق : وهو أن الاحصاء يبحث فى كمية الزوج والفرد لا إطلاقاً فحسب ، ولكن أيضاً فى علاقات هذه الكمية ونسبها . وكذلك إذا سألنى أحدهم ثانياً عن الفلك وأضاف بعد قولى له إنه فن يعبر بالكلام عما هو فى دائرة اختصاصه — أضاف : على أى شىء ينطبق القول فى الفلك ؟ أجبته بأنه ينطبق على حركة الكواكب والشمس والقمر كما يمتد فيتناول علاقات سرعتها بعضها ببعض[2]

ج — حسن جداً يا سقراط

ط — إذاً أجبنى بالمثل يا جورجياس ! أليس البيان أحد هذه الفنون التى تعالج كل شىء وتنجزه بالكلام ؟

ج — هذا صحيح !

ط — ولكن أخبرنى من أية ناحية هذا ؟ وما هو الموضوع الذى يتصل به ذلك الكلام الذى يستعمله البيان ؟

ج — إنه يا سقراط أعظم أعمال الإنسانية وأرفعها ![3]

(١) تلاحظ هنا براعة سقراط وأدبه فى الحوار . إنه يكاد يتفق على محدثه الجاهل ويرده إلى الصواب فى أدب ساخر وتصحيح سليم

(١) قصد التحديد وعدم إطلاق الألفاظ بلا تدقيق ظاهر (العرب)

(٢) أرجو ألا يمل القارئ من كثرة الأمثلة إذ لاشك فى طرافتها وضرورتها لاقناع العقول المهوشة العلم

(٣) لاحظ اللف والدوران واستعمال الكلمات الطنانة !

ط — لم يزل ما تقول يا سقراط موضع شك وغموض ! ويبدو لى أنك قد سمعت فى الولائم تلك الأغنية التى يعدد فيها الندماء خيرات الحياة ويقولون إن أول هذه الخيرات هو الملبس الحسن ، وثانيها الجمال الرائع ، وثالثها الغنى الحلال كما يقول مؤلف هذه الأغنية ؟

ج — لقد سمعتها حقاً ولكن لم تذكرها ؟

ط — ذلك أن أصحاب هذه الخيرات التى يتغنى بها الشاعر كالطبيب ، ومدرب الرياضة البدنية ، ورجل الأعمال ، سيقفون فى الحال إلى جانبك ، وسيبدأ الطبيب فيقول لى إن جورجياس يخدعك يا سقراط لأن موضوع فنه ليس من خيرات الانسانية الكبرى فى شىء ، بينا موضوع فنى أنا هو الذى يتصل بهذه الخيرات ! فإذا سألته : وما مهنتك أنت يا من ترسل هذا القول فإنه سيقول : « إننى طبيب ! » وإذا ما سألته : ماذا ؟ أتدعى أن أعظم خيرات الانسانية هو ما ينتج من فنك ؟ أفلا يحتمل أن يقول لى متسائلاً : وهل يستطيع أحد أن يجحد ذلك ما دامت « الصحة » هى ثمرة هذا الفن ؟ وهل هناك خير يفضل الصحة لدى الناس ؟[1]

« يتبع »

محمد حسن ظاظا

(١) أظن أن ليس هناك أبرع ولا أمهر من هذا الرد (المعرب)

تحت الطبع :

حيـــاة الرافعى

للأستاذ محمد سعيد العريان

الاشتراك فيه قبل الطبع ١٠ قروش تدفع إلى إدارة الرسالة ، أو إلى المؤلف بعنوانه :

شبرا مصر . شارع مسرة رقم ٦

ثمن الكتاب بعد الطبع ١٥ قرشاً

حـــواء

... ديوان شـعر طريف فى النزل العرفانى يصدره الأستاذ الحومانى تحت هذا الاسم وستقدم الرسالة لقرائها نماذج منه فى أعدادها التالية ريثما ينتهى طبع الديوان

عبقر الفنان

الأمانىُّ أعلقتْ بىَ عينيـــكِ وعيناكِ رمزهذى الأمانى
كيف لا أرصد النجوم لعينيـــكِ طوالَ الدجى ولى عينان ؟
أفا جالتا — وقد خفق الحا — لم — من وجنتيكِ فى بستانِ؟
تملأ النفسَ منه بالأمل الغضّ — رُؤى عبقرية الألوان
لا عيون الرائى تفوز بما تُبـ — ـصرُ منها ولا أكفُّ الجانى
إنما هن فى السما مُثُلُ الفنّ — وفى الأرض عبقر الفنان

روح الله

مبدعَ الفن! أىُّ كفيكَ خطّت — عجب الفن تحت هذى الجباهِ ؟
فى صدور تموج تحت صدور — وشفاهٍ تهتز فوق شفاهِ ؟
إن فى الابتسام والدمع سِرًّا — هو غير العيون والأفواهِ
أهوَ الحبُّ خلفهن؟ وما الحبُّ ؟ — هل الحب غير روح الله ؟
آمنت فيكَ هذه الناس ساهيـــنَ وآمنتُ فيك غير الساهى
قد تحسست ذات قدسك لا فى النا — ر مسجورة ولا الأمواهِ
إنما الحب دمعة وابتسام — وهما أنت فى الحقيقة لاهى

الحومانى